

التبيان في تفسير القرآن

(199) أليس في التوراة أن اِ يبغض الحبر السمين؟ فغضب، وقال: ما أنزل اِ على بشر من شيء، فلعنته اليهود وتبرأت منه، فنزلت هذه الآية، ذكر ذلك عكرمة وقتادة، وقال محمد بن كعب القرطبي: نزلت في جماعة من اليهود. وروي مثل ذلك عن ابن عباس. وقال مجاهد نزلت في مشركي قريش، وروي ذلك عن ابن عباس أيضا، وهو أشبه بسياق الآية، لانهم الذين أنكروا أن يكون اِ أنزل كتابا على بشر، دون اليهود والنصارى. ومعنى قوله " وماقدروا اِ حق قدره " أي ما عرفوه حق معرفته وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به " إذ قالوا ما أنزل اِ على بشر من شيء " أي ما أرسل اِ رسولا، ولم ينزل على بشر من شيء، مع أن المصلحة والحكمة يقتضيان ذلك، ودلت المعجزات الباهرة على بعثة كثير منهم. ثم أمر اِ نبيه أن يقول لهم " من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس " فانهم يقرون بذلك، وان اِ أنزله وبعث موسى (ع) نبيا وإن لم يقرؤا بذلك فقد خرجوا من اليهودية إلى قول من ينكر النبوات. والكلام على من انكر ذلك أصلا مذكور في النبوات مستوفى لانطول بذكره هاهنا. وعلى ما قلناه: من أن الآية متوجهة إلى مشركي قريش من حيث أن اِ تعالى من أول السورة إلى هاهنا في الاخبار عن أوصاف المشركين وعن أحوالهم وكذلك أول الآية في قوله " وماقدروا اِ حق قدره " لانهم كانوا لا يعتقدون التوحيد ويعبدون مع اِ الاصنام، وأهل الكتاب كانوا بخلاف ذلك، لانهم كانوا يعتقدون التوحيد فلا يليق بهم ذلك، وإن كان اليهود عندنا أيضا غير عارفين باِ على وجه يستحقون به الثواب. والقول الآخر أيضا محتمل. فعلى ما اخترنا يكون قوله " قل من أنزل الكتاب " متوجها إلى اليهود والنصارى، لانهم المقرون بذلك دون قريش ومشركي العرب، ويجوز أن يكون متناولا للمشركين أيضا، ويكون على وجه الاحتجاج عليهم، والتنبيه لهم على ما ظهر من معجزات موسى وظهور نبوته، وهذا الذي اخترناه قول